

عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 102 / 16 أيلول 2017



درعا المحطة

عدسة محمد مسالمة - وكالة قمره
خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com

facebook.com/3aynAlmadina



رفعت الأسد... مات... لم يمّت

فيما نضع اللمسات الأخيرة على هذا العدد راجت إشاعة عن وفاة رفعت الأسد، عم «الرئيس» السوري الحالي وشقيق السابق، ونفاها الكثيرون لأنها لم تصدر عن جهات موثوقة. ولكن ما معنى موت رفعت أو حياته؟

منذ صعود الشقيقين، حافظ ورفعت، إثر استيلاء البعث على السلطة في الستينات، وخاصة بعد سيطرة الأول على الحكم عام 1970؛ تقاسما أدواراً تليق بشخصية كل منهما، فكان حافظ «رجل الدولة» المسؤول عن إدارتها وفق شكل ما من السياسة والقانون، ولبس الشقيق الأصغر دور «رجل العصابة» الذي يعتدي وينهب ويستبيح، حتى كبرت مافياه «سرايا الدفاع» وأصبحت جيشاً موازياً بامتيازات خاصة وأذرع مدنية تنافس «الدولة»، فأقصاه أخوه.

ومنذ ذلك الوقت، في أواسط ثمانينات القرن الماضي، لم تعد لرفعت قيمة فعلية، وإن تكرست «رمزيته» باتجاهين؛ فهو، عند موالي النظام من حاضنته الاجتماعية، بطل مطلق اليدين من «وعناء الدولة»، يستذكرون معه «الزمن الجميل»، أيام التئمّر على الناس وإذلالهم ونهب بيوتهم وأرزاقهم دون حسيب أو رقيب. وعلى الضفة المقابلة هو رمز للإجرام ذاته ولكن من وجهة نظر الضحية، فهو «بطل» مجازر عديدة، لا تبدأ بالمعتقلين العزّل في سجن تدمر ولا تنتهي بأهالي حماة. في السنوات الأولى من حكم بشار بلغت صورة رفعت أقصى درجات انحدارها، مع إظهار ابن الأخ ميله إلى «الدولة»، وتخبط العم في دعاوى معارضة ديمقراطية مضحكة، لم تقنع مواليه فضلاً عن أعدائه.

ولكن الأمر اختلف مع الثورة، عندما أخذت أصوات موالية متورة تدعو إلى سرعة «الحسم» والاستباحة واستخدام أشد أنواع الأسلحة، وشاع، بين هؤلاء، أن «القائد» (رفعت) لو كان في الحكم لما تجرأ أحد على رفع رأسه في مواجهة «البوط العسكري» ومشتقاته.

ولكن هذه مرحلة أصبحت وراءنا، بعد أن تطابق النظام مع جمهوره وأتحفهم بالكيماوي والسكود والبراميل الملقاة على المناطق الثائرة. وتطوّع للعب دور رفعت كثيرون كثيرون، منذ ابن أخيه ماهر وحتى رؤساء مجموعات تشبيحية لا تكاد تحصى ولا يستطيع ما تبقى من «دولة» أن يضبطها. لقد تكاثر رفعت... ووُلد مجدداً عشرات آلاف المرات من رحم العدوانية نفسها والجنون نفسه. فأى معنى بقي لوفاة ذلك العجوز التراثي، بلحيته المحناة وتجاعيد وجهه، أو لحياته؟

10 الجيش الوطني ومحاولات الإنقاذ الأخيرة

3 أنت... أيها النازح

11 لمن سيكسر الضنجان هذه المرة؟

5-4 من المظاهرات إلى داعش.. شهادة على ثورة القوريّة

13 الميليشيات الشيعية في نبل والزهراء

7 العبور إلى تركيا: بين الخطة والواقع

15-14 قراءة في تجربة بوكو حرام

9 التحرش في إدلب.. بين النظام والتحرير

أنت.. أيها النازح

نشوان الصالح

يأتي صوتها الرزين الرقيق، بعد أن تطمئن إلى معرفتها بعائلتي: «والله يا ابني إنا عندنا مصاري و قدرنا نطلع تهريب. الشقى على من بقى وما عنده مصاري».

الناس. وتوزع يومياً رغيف خبز واحد فقط لكل شخص. لكن سيارات تباع الخبز والخضار والمياه والثلج كانت تحضر يومياً لتجمع مبالغ خيالية من الميسورة أحوالهم. فقالب الثلج بـ1800 ليرة سورية. وربطة الخبز بـ250 ليرة. وقنينة مياه الشرب سعة 1.5 لتر بـ100 ليرة. وحين تغضب الإدارة تعاقب المخيم بمنع تلك السيارات من الدخول».

يشرف أطباء من الهلال الأحمر الكردي على المخيم. لكنهم لا يفعلون شيئاً: «حبة سيتامول ما بي يا ابني». وحين حضر أحد مسؤولي الإدارة الذاتية (كردي تركي لا يتكلم العربية) لتفقد الوضع. قامت مظاهرة هددت بحرق المخيم إذا لم يتم تحسين أوضاعه. فكان رده المترجم عبر إدارة المخيم: «إما أن تقبلوا بالوضع كما هو أو نعيدكم إلى داعش». ولشدة معاناة الناس طالبوا بإعادتهم إلى داعش. فاعتقلوا الشباب البارزين في المظاهرة وأخرجوهم بعد عدة أيام منهكين من التعذيب بعد أن وقعوهم على تعهد بعدم التظاهر.

بعد ثلاثة عشر يوماً خرجت عائلة أبو صالح من المخيم: «كنا خمسة. أنا وابنتي وصهري وأبو صالح. دفعنا ألف دولار، بمعدل 200 عن كل شخص، لأحد المتنفذين حتى قبل بتهريبنا بسيارتنا إلى قرية «عجاجة» القريبة. وهناك دفعنا 400 دولار عن السيارة لأحد المهربين حتى أدخلنا إلى مدينة الحسكة. ومن هناك دفعنا 150 دولار عن كل شخص حتى وصلنا مدينة الباب. لكن قبل هذا تأتيك العوائل التي لا خيمة لها تطلب أن تحل محلك بعد أن ترحل. عليك أن ترى عيونهم وهم يحلمون بخيمة».

توصيني أم صالح بمن بقي هناك في المخيمات قبل أن تقفل الخط: «قد يمكن احتمال كل ما قلته لك لولا المحاولات الدائمة من الإدارة لإهانتنا وإذلالنا. والمرقعة دوماً بصيغة المخاطبة المتعالية: «هي إنت.. يا نازح».

تصمت السيدة أم صالح لبرهة تكفي لابتلاع الغصة. ثم تمضي: «ماتت حفيدتي ذات الستة أشهر بين يدي اختناقاً. وامتلاً ظهري بالشظايا. وتكسرت ساقا ابنتي. حين قصف التحالف منزلنا في الميادين. بعدها كان لا بد من الرحيل بحثاً عن علاج. خرجنا بسيارتنا بعد أن دفعنا 600 دولار لأحد عناصر التنظيم ليساعدنا على الفرار من سجننا الكبير في مناطق سيطرة داعش إلى سجننا الصغير في مخيم قانا. في حين كان على الآخرين المشي أكثر من عشر ساعات ليلاً».

في العبور سيراً على الأقدام فقد محمد يعقوب والدته وابنته وزوجته نتيجة العطش. بعد أن تاهوا في البداية. في حين وجد هو وابنه مغمى عليهما بعد رحلة طويلة تلخص حال الكثيرين من أبناء الشرق السوري الهاربين من مناطق سيطرة التنظيم إلى مناطق سيطرة قسد.

في مخيم قانا، أو السد، الواقع جنوب الحسكة، يقطن الآن ما يزيد على 25000 نسمة. لكن الحاجة أم صالح، وبخفة دم الجدات تقول: «كنا من مؤسسي المخيم. كانت الخيام قليلة وجديدة. ولا أسوار تحيط بها. لكنها -أي الخيام- أخذت بالتزايد مع تزايد الوافدين بمعدل 200 إلى 300 شخص يومياً. حتى أصبحت ترى أكثر من عائلة في خيمة واحدة. وبعض العائلات لم تعد تجد خياماً فنامت في العراء تحت غطاء لا يقي شمس الصيف».

أخذ القائمون على المخيم -وهم من الإدارة الذاتية- جميع وثائقنا الرسمية من هويات وجوازات سفر. ومنعونا من الذهاب إلى المشفى حتى بعد رؤية إصاباتنا وتقاريرنا الطبية. وأخبرونا أن جميع السيارات مصادرة لا يحق لنا بيعها أو إخراجها من المخيم. لا حمامات ولا دورات مياه. كنا نذهب إلى بحيرة السد القريبة كي نقضي حاجتنا ونغتسل. مياه الشرب التي تأتي بالصهاريج ملوثة. فانداحت الحمى المصحوبة بإسهال شديد. ومات خمسة أطفال إثر ذلك. بعض المنظمات توزع أسبوعياً حصص معلبات يعيش عليها

من المظاهرات إلى داعش شهادة على ثورة القورية.. وفي نقدها (1 من 2)

صالح السلطان

تقع مآنة القورية على مسافة 55 كم شرقي دير الزور. وبلغ عدد سكانها 60 ألف نسمة تقريباً، ينتمي معظمهم إلى عشيرة القرعان، أحد فروع قبيلة العكيدات العربية، فضلاً عن عائلات من عشائر أخرى.

الطبيعي رغم الصواريخ وقذائف المدفعية. ارتبط حراك القورية المسلح بكتيبة القعقاع التي تولت تحرير المآنة، وسجلت -بعد أن تحولت إلى لواء- مشاركات هامة في معظم المعارك والمواجهات العسكرية في ريف دير الزور الشرقي، من البوكمال على الحدود العراقية إلى مطار دير الزور العسكري. استمرت المظاهرات وأوجه النشاط الثوري المتنوعة في المآنة، وظهرت، إلى جانب ذلك، كتائب ومجموعات مسلحة بدوافع انتهازية من مؤسسيها. سيكون لهذه الأجسام الوليدة دور هدام في تشويه صورة الثورة والجيش الحر الذي أخذت سمعته بالتراجع مع مظاهر الفوضى والفساد التي ارتبطت ببعض الكتائب المنتمئة إليه. مهدت هذه المظاهر، إلى جانب عوامل داخلية وخارجية في بنية الجيش الحر، لسقوطه لاحقاً تحت ضربات القاعدة/ جبهة النصرة ثم داعش.

الثورة والحاضنة الاجتماعية

انقسمت الحاضنة الاجتماعية في القورية إلى ثلاثة تمثيلات سياسية؛ أولها ما كان يدعى بالأنصار، وهؤلاء مؤيدو الثورة الذين دافعوا عنها وشكلوا الخزان البشري الذي بقي يرفدها بدماء جديدة، وثانيها الفئة المختلطة بين معارضي الثورة ومؤيدي النظام، والثالثة مثلها الحياديون. عاشت فئة الحياديين الشقاء بعينه، إذ سيطر عليها الخوف والتردد وترقب موازين القوى كي تقرر موقفها، لكن زئبقية ميزان القوة وعدم استقراره زاد في شقائها إلى أن وصل الاستقطاب في الشارع إلى درجة حادة. ثم إن النظام لم يتركها في حالها بل طلب منها الولاء، وأخص بالذكر هنا من كانوا قد انتسبوا إلى حزب البعث تقيّة، إذ ذكرهم النظام بشعار «بالروح بالدم نفديك يا بشار» وأسقط عنهم ورقة التوت، وكذلك أخرجتهم الثورة عبر شعارها الصادم «الما يشارك ما بيه ناموس»، إلى أن أجبرت هذه الفئة على التلاشي والانخراط هنا أو هناك على طريقة «مكره أخاك لا بطل».

وبالرغم من تعدد التشكيلات المدنية الوليدة بعد التحرير، إلا أنها لم تكن حدثاً فارقاً في تاريخ الثورة، فقد كانت الترتيبات البعثية والاجتماعية هما الموروثان الأهم اللذان ضربا العقل حتى النخاع. وكانت هذه الهيئات أدنى بكثير من مؤسسات السلطة،

قبل الثورة كانت الزراعة، وتحويلات الأبناء العاملين في الخليج العربي، الحاملين الرئيسيين لاقتصاد القورية، المشابه لغيره في بعض المدن أو البلدات الريفية في محافظة دير الزور. ويعد العام 1990، تاريخ الغزو العراقي للكويت، تاريخاً مفصلياً في الوعي الاجتماعي العام، إذ شهدت القورية ما يشبه الصحوة لأهمية التعليم كضمانة أكيدة لمستقبل أفضل، بعد أن تبددت الثقة بالعمل في الخليج الذي ارتبط بحلم الإثراء السريع قبل الغزو. ليرتفع، في العقدين اللاحقين، عدد خريجي الجامعات والمعاهد إلى حد كبير مقارنة مع العقود السابقة. وبلا شك تركت هذه النهضة التعليمية النسبية أثرها البناء على مجتمع القورية، وربما تكون أحد الأسباب التي تفسر التحاقها المبكر بركب الثورة في آذار 2011. في ذلك الوقت شكلت أول مظاهرة صدمة للعقل الجمعي وللعقل المعارض في القورية، إذ أصيب هذان الوعيان بداية بالذهول إلى درجة ما يشبه الرفض أو عدم التصديق. ما أقوله هنا ليس تحليلاً بل وقائع عشتها وكنت شاهداً عليها، حين كان الثوار يكتبون شعاراتهم على الجدران ليلاً قبل أن يمسخها البعثيون والمؤيدون في النهار، فضلاً عن التحريض والتعبئة لصالح الثورة في كل مكان، إلى أن نجحت القورية في إخراج مظاهرات منتظمة كل أسبوع، وأحياناً مظاهرات أو ثلاث. لم تكن التحديات الأمنية صغيرة أمام الحراك المتصاعد، لكن إصرار الشبان جعلهم يصمدون في وجه محاولات التهريب والترغيب. في تلك الأشهر من عام 2011، ثم في الأشهر اللاحقة من العام التالي، كانت القورية مسرحاً لصدمات كبرى بين قوى الأمن والمتظاهرين، جعلت منها حاملاً رئيسياً لثورة ريف دير الزور، وخاصة بعد أن نجحت في التصدي لدبابات النظام وحملاته العسكرية المتلاحقة، إثر فشل مخابراته وأجهزة أمنه في سحق الثورة.

القورية محررة

في حزيران 2012 حرّرت المآنة بشكل نهائي من النظام، لكن قواته المنسحبة إلى البادية القربية ظلت تمثل تهديداً للمآنة وأهلها الذين سرعان ما استعادوا نمط حياتهم

ستودي بالثورة أولاً وبالشعب السوري ثانياً. أما القسم الآخر من الشيوخ فبقي «صامتاً» ولكنه يغغم رافضاً للثورة.

دور مجموعات الدعم في الخليج وأثرها

في بداية الثورة أسهمت هذه المجموعات مساهمة إيجابية لجهة الدعم المعنوي والمالي المتواضع الذي تتطلبه المرحلة السلمية من لوازم الإعلام وما شابه. كما شهدت المرحلة الأولى من العسكرة (بغض النظر عن موقفي المعارض لها) أعمالاً إيجابية على الصعيد الإنساني، من دعم للمحتاجين ولبعض الثوار الذين تضرروا. وبالرغم من أنه كان دعماً متواضعاً إلا أنه كان ذا أثر معنوي بادر. كما خصصت، لفترة، رواتب لعوائل الشهداء. كانت تلك مراحل البدايات، والبدايات دائماً خصبة ثم تبدأ بالفقر، وهكذا ثورة السوريين. ولم تستمر الحال هكذا، وسيكون للتطورات على الأرض في الداخل صداها في الخارج. وإذا كان لي من نقد سياسي وأخلاقي لـ«ثوار» الخارج فإنه يتمثل بما يلي: لقد أسهموا مساهمة فعّالة في تسريع العسكرة ودفعها إلى نهاياتها، وجعلوا القورية تدفع ثناً مبكراً لحملها السلاح. وفي الاجتياح الأول للمدينة كانت بعض القرى المحيطة تعلن ولاءها لبيشار الأسد وتنتظر قضاء جيش النظام على ثورة القورية وحتى على أهلها. وهنا أقول: لقد كانت دنائيركم إثمًا في رقابكم لا يحموه إلا الله. أما الحديث عن الفساد وسرقات أموال الثورة فيطول. ولو أنني أملك توثيقاً غير المشافهة التي وصلت إليّ وطالت أسماء معروفة لما ترددت لحظة واحدة في فضح كل من تاجر بعنابات الناس. ولو بقيت لي ساعة من العمر نتاح فيها محاسبة بشار الأسد ومجرموه فلن أتردد لحظة في المطالبة أيضاً بمحاسبة لصوص الثورة ومجرميها، وما أكثرهم.



مع عقل السلطة أكثر من تماهيا مع عقل الثورة، بسبب تشابه البنيّتين. كما أن المنافع المتبادلة بينها وبين نظام الاستبداد هو ما جعل واجهات العشائر تُبع للسلطة القائمة بغض النظر عن أصلها وفصلها. لقد واجهت هذه الشريحة محنة الانكشاف التاريخي أمام جمهورها، وأصبحت وجهاً لوجه مع الثورة ومع استحقاقاتها، ما أدى إلى فشلها في أن تكون على غير ما تربت عليه سياسياً واجتماعياً. لكن المؤسف أن الثورة، عندما تجاوزت هؤلاء، لم تتمكن من إقناع الناس أنها الأفضل، ما جعل أهالي المدينة كمن أضع الرقصتين.

أما فئة «شيوخ الدين» (مع تأكيد أن هذه التسمية مجرد اصطلاح لا يحمل مدلوله، إلا أنني سأستعمله مجازاً) فانقسمت إلى قسمين؛ انخرط الأول في الثورة ونشط في الجوامع ومناسبات العزاء، وشارك خصوصاً في المظاهرات السلمية التي غلب على شعاراتها الخطاب الوطني الجامع، لكنه، ومع تحول الثورة إلى العسكرة ودخول الإخوان المسلمين والسلفية الخليجية، تبنى الشعارات الطائفية التي عزفتها بثينة شعبان ونددن عليها العرعور، ما مهد طريق القاعدة إلى وفي سورية، من داعش والنصرة، إلى أن حلت الكارثة التي

وكان ينقصها الكثير من الناحيتين الذاتية والموضوعية - مع الإشادة طبعاً بالجهود الفردية والنوايا الطيبة للبعض - فشلت فشلاً ذريعاً في إقناع الناس بأنها البديل الإيجابي المنشود.

المرأة

علينا ألا ننسى الدور الكبير الذي لعبته المرأة في القورية والأعباء الثقيلة التي تحملتها. لقد كانت النساء الجندي المجهول في هذه الثورة، بتشجيع المتظاهرين والاحتفال بهم بالزغاريد ونثر السكاكر والأرز فوق رؤوسهم، ثم وقوفهن وقفات لا تنسى تجلت في صور مختلفة من تحضير الطعام واللباس والأغطية والتبرع بالنقود وإرسالها لمقاتلي الجيش الحر أيام البرد والجوع والملاحقة قبل التحرير، وفي فتح بيوتهن منتصف الليالي لإيواء الثوار والتغطية عليهم أوقات الحملات الأمنية والعسكرية. كانت المرأة في القورية مثلاً للام الصابرة والأخت الحنون الشجاعة، وقدمت أحياناً أكثر بكثير ما قدمه كثير من الثوار. لقد كان حمل المرأة ثقيلاً، خصوصاً اللواتي فقدن فلذات أكبادهن واللواتي فقدن أزواجهن وهن في مقتبل العمر، فكان الزمن يمر عليهن ثقيلًا جدًا، وبعضهن فارقت الحياة حزناً وقهراً.

المخاطر وشيوخ الدين

في كل مجتمع فئات اجتماعية متميزة ومختلفة في آن واحد، وخصوصاً في المجتمعات ذات النمط الواحد في المأكل والملبس ونمط العيش والحياة والسلوك والفكر. وفي مقدمة هذه الفئات الاجتماعية يأتي المخاطر وظلمهم من الفعاليات الاجتماعية. وقد اتخذ هؤلاء - أو معظمهم - موقفاً معارضاً للثورة لأسباب عدة؛ يأتي في مقدمتها أن الفعل الثوري نفسه، الحامل لقيم الحرية والعدالة، أكبر مما تستوعبه عقولهم التي تربت على طاعة أولي الأمر، وتماهي عقليتهم المبنية على قيم الاستبداد



الحسبة مركز

في سجن الحسبة في الميادين

هادي الفيصل

كان الهواء حاراً ورطباً بأنفاسنا، نحن المسجونين العشرين في غرفة جعلتها حسبة داعش، وغرف أخرى من قبو بناء سكني، سجناً لمرتكبي المخالفات الصغيرة.

بصوت عال غير مبرر في جو الصمت والترقب هذا، اشتكى شيخ قارب السبعين من خطأ ارتكبه الدواعش باعتقاله: «ما كمشوني وكنت صلاة. أي صلاة الصبح والشمس عالية؟!..». حضر الصوت العالي بعضنا على الرد: «مو عشان الصلاة يا حجي». لكنه لم يسمع وعاد إلى حيرته صامتاً إلى حين أذن الظهر ووقفنا لأداء صلاة السنّة القبلية فاقترب من الباب ونادى الحارس: «يا ابن الحلال، ترى الشمس كانت طالعة ومو وكنت صلاة». عنّفه الحارس: «ارجع غاد.. أطرش ويريد يعرف لبش كمشناه!». تدخل السجناء لتهدئة الشيخ وإلحاقه بالصلاة، دون أن يتمكن أحد من أن يوضح له أن التهمة التي ساقته إلى السجن أنه كان يتمشى أمام بيته في صبيحان صباح اليوم بكلاية طويلة تخالف قانون «الإزار»، رغم الشرح بالإشارات إلى ثوب الشيخ الذي من المتوقع أن يمضي أياماً في السجن ربما طالته في حال فشله في حفظ نواقض الاسلام من المطويات، وهو الاحتمال الأرجح، إن لم تتدخل واسطة تخرجه. بعد الجدل الذي أثاره الشيخ مع السجناء تباهى متهم الحلاقة بأنه يعرف السبب الذي جاء بالشيخ متهم الإزار إلى الميادين وليس إلى حسبة العشرة الأقرب، وراق لي للحظات أن أعرف شيئاً من الترهات «البيروقراطية» الوليدة في عالم داعش فقال: «جعد يسوولها صيانة حسبة العشرة. وشرجي صبيحان ما بي سجن حسبة لولاية الخير، أي لولاية الفرات». «حسبة العشرة أحسن!»؛ أضاف متهم الحلاقة بجملة عززت الشكوك الصامتة بأنه «الراصد» الخبيث المزروع بيننا. لم يقع أحد في الطعم الذي ألقاه سوى مراهق صغير بدا مسروراً وهو يخبرنا أنه سينقل اليوم إلى سجن الأحداث، حيث الوجبات الثلاث والتكليف والحمامات والنظافة. أكد متهم الحلاقة ما قاله المراهق عن سجن «الخمس نجوم» حسب قوله، وأن كبير الشرعيين فيه «الطف وأطيب شرعي مرّ على ولاية الخير». لم أجد الشجاعة الكافية للهمس في أذن المراهق أن سجنه الجديد ما هو إلا محطة سيخرج منها مجدداً في صفوف التنظيم وعازماً على تفجير نفسه دفاعاً عنه.

رغم اعتيادي على عجائبية الدواعش أحسست بالاستغراب بأن أسجن عقوبة على حقي الطبيعي في التدخين، خاصة في هذه الظروف التي تمر بها داعش ونمر بها نحن مع الغارات والموت والجوع. قادني التهور إلى تحلل فجائي بعد طول حذر واحتياط، فأشعلت سيجارة على سطح المنزل الذي نزحت إليه مؤخراً قرب مدينة الميادين. قلت كيف للحسبة أن تراني في هذا الصباح الباكر على السطح وأثناء غارة لطائرات التحالف على المدينة القريبة التي كنت أخمن أي الأحياء قصفت؟ وكنت مطمئناً إلى أن «الإخوة» لا بد أن يكونوا مشغولين بما هو أهم من سيجارتي، وبأنهم سئموا ملاحقة الناس على التفاهات، لتخفف من شروط الأمان التي أخذها عادة. لكن ظني لم يكن في محله، إذ ألقى القبض عليّ بعد قليل نتيجة وشاية من «راصد» رأني. لم أجادل أو أمانع، بل كنت مثلاً «للمذنب المتلبس»، ما جعل الرحلة القصيرة إلى السجن تمرّ بيسر. ولم أكن خائفاً، فتهمتي صغيرة. بضع أيام سجن وبضع سباط أجلدها ثم أخرج. في السجن بادرني متهم «حلاقة» بالسؤال عن تهمتي، ثم أخبرني أن وجبة واحدة فقط توزّع على المساجين كل يوم، وشدد على أهمية أن ألتزم بالصلوات وبالسنن وبالإصغاء الكامل لشرعيي السجن وحفظ ما ينبغي حفظه من المطويات الورقية التي يحافظ عليها الجميع كأطفال مدرسة صغار يحافظون على دفاترهم. وحاول حثي على الحديث هامساً عندما سألتني عن آخر الأخبار لأنه منقطع عنها منذ أسبوع، حسب ما قال. لم أجب في الحقيقة، حذراً من احتمال أن يكون واحداً من الجواسيس أو «الرصاد» الذين تزرعهم داعش في السجن بحثاً عن «حالات مشبوهة» بالنسبة إليها. وتذكرت الحكايات المتناقلة عن «أولاد الحرام» وعن ضحاياهم ممن دخلوا سجون التنظيم بمخالفات بسيطة وخرجوا منها إلى ساحات الإعدام كمرتدين وعملاء للتحالف أو للجيش الحر أو «للأكراد» أو للنظام.



في البيوت الجماعية التي يخصصها الوسطاء للزبائن، وفي سيارات النقل ومكاتب التهريب، وعلى الأرصفة... تغدو تركيا في تناول اليد. ويقع «الراكب» في شباك الجمل السحرية التي تتكرر على مسامعه: اليوم تتعشى بتركيا، الصبح أنت بتركيا..

العبور إلى تركيا (2 من 3) بين الخطة والواقع

سمهر الخالد

الجندرمة كذلك. بينما يزحف ركاب العاصي لساعات في حقول القطن أو الفليفلة للوصول إلى «الطريق العسكري التركي»، حيث تنتشر محارص الجندرمة، واقتناص غفلة منهم للمتابعة. في حين يكتشف العديد من الركاب، بعد أن يكونوا قد بدأوا طريقهم مطمئنين، أن طريق «الإزن» الذي دفع أحدهم 2000 دولار أو أكثر للعبور منه؛ ما هو إلا طريق تهريب يلجأ المهرب فيه إلى إدخال الكثير من المجموعات -العراقيين خاصة- لإشغال عناصر الجندرمة، ومن ينجو من تلك المجموعات يصبح في تركيا مقتنعاً أنه دخل إليها بإذن، بينما يعيد المهرب المبالغ التي أخذها لمن أمسكته الجندرمة من الركاب مع أذكار عديدة، كاختلاف الضباط في ما بينهم.

قبل البدء بالعبور يتراجع البعض بسبب الصعوبات أو سماع أصوات رصاص الجندرمة. عندها يستعمل المهربون الفيديوهات التي يصورها الأدلاء للركاب بعد وصولهم إلى تركيا لإقناع المتراجعين، ويتابع من يتابع رغم اعتقاد راسخ لديه بأن المهربين «يكمشون» مجموعات من الركاب قصداً، بإرسالهم في أوقات يقظة الحرس الكاملة أو من طرق مكشوفة، لتتمير مجموعات أخرى.

يبقى أن الكثير من الركاب يقدمون على العبور دون أن يضعهم المهربون والأدلاء والوسطاء في صورة الطريق الحقيقية. وهو ما وقع لي مع مجموعة حين حاولنا من طريق «التلول»، وشرح لنا الوسيط بأننا بعد أن «ننط» الجدار سننزل في خندق عمقه أربعة أمتار، فيه قناة ري تكون جافة في الغالب، ثم نخرج منه إلى حقل ذرة على بعد 100 متر يجب قطعها ركضاً، دون الالتفات إلى رصاص الجندرمة، فبمجرد الوصول إلى الذرة سيتركونا لصعوبة البحث فيها، وباجتياز الحقل نصل إلى سائر نعبه لنصبح في القرية التركية. وأضاف المهرب أن حقل الذرة يبعد 400 متر عن نقطة العبور، بينما يبعد المخفر كيلومتراً واحداً، وأن الماء في قناة الري يصل إلى الخصر. بعدها ارتقى سلماً وضعه على الجدار، وفتح ثغرة في الأسلاك الشائكة فوقه، وأشار إلينا أن نبدأ قفزنا الجدار دونه، ثم نزلنا في الخندق لنكتشف أننا أمام نهر العاصي، وأن المسافة بين المخفر ومكاننا تقترب من المسافة بينه وبين حقل الذرة، الذي تفصله عنا أسلاك شائكة وسيج معدني، بالإضافة إلى أصحابه الذين كانوا يعملون فيه وقتها، وتركوا أشغالهم ليساعدوا في الإمساك بأفراد المجموعة. عند ذلك كنت قد اجتزت النهر بصعوبة واختبأت على حافته أراقب... وبعد يأس، خرجت مستسلماً لغضب عناصر الجندرمة.

عندها يبدأ التفاوض على المبلغ وكيفية تسليمه، وماذا يشمل في رحلة العبور، ثم يبدأ شرح خطة اجتياز الطريق. فهناك طريق حارم: اجتياز الجدار، ثم الانتظار في الأراضي الزراعية، ثم المتابعة عندما يرى المهرب ذلك ممكناً، ليصبح الراكب على الطرف الآخر من الحدود حيث تنتظره سيارة المهرب التركي. وهناك العاصي: حيث قطع النهر بمركب صغير، ثم الزحف بين المزروعات لمسافة قصيرة، ثم يأتي الزفت التركي. وهناك طريق «العيل» (العائلات): حيث المشي الطويل، لساعتين تقريباً. وهناك «الإزن»: عندما يمر الركاب من جوار المخفر التركي بموجب اتفاق بين المهرب التركي وضابط، أو عناصر، الجندرمة.

يستعمل البعض أراضيهم المتاخمة للحدود في تهريب الركاب، لكنهم لا يستطيعون منع أحد من استعمالها، بينما يلجأ آخرون إلى أراضٍ مشاعية لاستعمال الحدود، في وقت محدد تسمح به هيئة تحرير الشام. وتتقاضى الهيئة 50 دولاراً عن كل راكب مقابل وصل للعبور، وتشترط على المهربين للعمل أموراً عدة منها عدم تقاضي المال عن الأطفال، الذين يحتسب كل ثلاثة منهم دون العاشرة كراكب في عرف التهريب، ويخفي أهاليهم ذلك، بتواطؤ مع المهربين، عن الحواجز التي تنصبها الهيئة على الطرق المؤدية إلى الحدود، لتفقد الركاب والتأكد من دفع الوصول عنهم. وقد عرفت، بعد أن أخفانا أحد المهربين في القسم الخلفي من الفان الذي نقلنا فيه إلى الحدود، وقبل أن نصل إلى حواجز الهيئة؛ أن هناك تهريباً آخر يلجأ إليه البعض للتملص من دفع قيمة الوصول، بينما يدفع غيرهم 150 دولاراً لعناصر في الحاجز للسماح لمجموعتهم بالعبور دون وصول. وقد تشترط الهيئة على المهرب الذي حصل على «إزن حقيقي» دفع 100 دولار عن كل راكب وإدخال جريحين من مقاتليها إلى الأراضي التركية.

مع الاقتراب من الحدود يبدأ الدليل بالإفصاح عن حقيقة الطريق الذي سيسلكه بالركاب. فطريق حارم، الذي كان جداراً وانتظاراً لبعض الوقت ثم المتابعة باتجاه القرية التركية؛ يصبح جداراً، ثم خندقاً ارتفاعه أربعة أمتار، ثم أسلاكاً شائكة، فسيجاً معدنياً، فانتظاراً في أرض أشواك لست ساعات بالحد الأدنى، ثم اجتياز جدار آخر أو قسطل تحته للدخول إلى الأراضي الزراعية التركية، التي يراقبها عناصر

«كلنا سوا»

فريق من ذوي الاحتياجات الخاصة يناصرون قضيتهم

يتعرض ذوو الإعاقة كل يوم للتمييز ولعوائق تقيد مشاركتهم في المجتمع على قدم المساواة مع غيرهم. ويُحرمون من حقوقهم في العمل وفي العيش المستقل. ولهذا تشكل فريق المناصرة «كلنا سوا»، التابع لمنظمة «سند» لذوي الاحتياجات الخاصة، للتنويه إلى ضرورة مشاركة هذه الفئة في العمل وتأمين ما يتطلبه ذلك من برامج تدريب وبناء قدرات. «عين المدينة» التقت الفريق في مدينة عنتاب التركية وأخذت هذه الشهادات.

وائل أبو كويت (المدير التنفيذي لـ «سند»):

«سند» منظمة مجتمع مدني غير ربحية مستقلة. تأسست في 2013 بهدف تقديم الخدمات الإنسانية والتنموية لذوي الاحتياجات الخاصة، من قبل شخصيات عاملة ومهتمة بالشأن المدني (رجال أعمال، أطباء، مهندسون، طلبة) تطوعوا لخدمة هذه الفئة التي توسع عددها في ظل المأساة السورية وما يتعرض له المجتمع من ويلات الحرب. بعد أن لامس مؤسسوها وأعضاؤها عن كثب الواقع المؤلم الذي تعيشه شريحة متزايدة من ذوي الاحتياجات الخاصة من حرمان وتهميش ونقص رعاية، وتحولهم إلى مستهلكين بسبب عدم استثمار طاقاتهم. إيمان عتقي (منسق المشروع):

شكلت «سند» فريقاً من ذوي الاحتياجات الخاصة المختلفة ليناصروا لقضاياهم ويعبروا عنها بشكل صحيح، وذلك لحث مكونات المجتمع القيادية على المشاركة في دعم وتقوية هذه الفئة، ورفع الوعي المجتمعي بحقوقها في المواطنة الصالحة وواجباتها، والمساهمة في التأثير على المجتمع المحيط بما يضمن حقوقهم المدنية والاجتماعية. وتتخذ «سند» من تطلعات ذوي الاحتياجات الخاصة، ومن الميثاق الدولي لحقوق الإنسان، ومن اتفاقيات الأشخاص ذوي الإعاقة، بوصلة لعملها.

أحمد حمزة (من الفريق):

قبل ما أنضم لفريق «كلنا سوا» كنت يائس بعد الظروف التي مرت على سورية وبسبب الغربة. وكنت فُكر بالمستقبل كثير. بعد الانضمام حسيت رجوع لي الأمل، وخصوصي بعد العمل مع أشخاص بنفس وضع الإعاقة - مع اختلاف

من صفحة منظمة سند على الفيسبوك

عندي دافع حتى طالع هالأشخاص من الحالة اللي هنن فيها، ونحاول نأمنلهمن شغل حتى يعتمدو على حالهن وينسو أنهم معاقين. وإن شا الله رح نضل نشغل ونحاول حتى نوصل لأهدافنا.

رشا رجب (من الفريق):

نتيجة خطأ طبي انصبت بشلل الأطفال. أنك تملك كل الدنيا أو تفقدوها بسبب شخص جاهل بعمله هي مصيبة، وأنك تكمل حياتك بنقص عن الباقين هي المصيبة الأكبر!

الحمد لله قدرت أتجاوز شيء من العقدة. بس بعد ما انضمت للفريق صار عندي تجاوز تام لشيء اسمه نقص أو شيء اسمه إعاقة.

أكبر دافع لي هو إنجاز شيء مو بس إلي، إنما للناس اللي متلي. وأهم شيء عم أطمح للوصول إلو مع الفريق هو تأمين حياة كريمة لكل شخص من ذوي الإعاقة، لأن ما بيحس بالوجع إلا يلي مرّ فيه.

رابعة سخيفة (من الفريق):

اسمي رابعة، وكنت الرابعة بين إخوتي. إصابتي كانت في عمر سنة، بشلل أطفال رباعي، لكنه انحسر بالمعالجة إلى شلل في الطرف السفلي الأيمن. أحمد الله أنني التحقت بالمدرسة ثم بالجامعة حتى تخرجت من كلية الآداب قسم اللغة الإنكليزية. أهتم بالقراءة وأكتب الخاطرة والقصة القصيرة، وقد نشرت مجموعة قصصية بعنوان «قراري».

أضاف الفريق إلى شخصيتي قوة وثباتاً وانطلاقة أشجع. وأتمنى أن يصل صوت فريقنا إلى كل معاق، فينتشل المعتزل فيهم ويدعم المحتاج منهم ليندمج مع المجتمع ويجد عملاً يكفيه للعيش بكرامة.

الدرجات- وبروح الفريق الواحد. كان دافع المشاركة بالنسبة إلي هو تطابق أهداف المنظمة والفريق مع متطلباتي وأهدافي، اللي هي تأمين حياة كريمة لذوي الاحتياجات الخاصة، والبحث عن فرصة عمل إلهن، وتدريبهن مهنياً مشان تكون أشخاص معتمدين على أنفسنا وفاعلين في المجتمع.

بتمنى تكون مدافعين جيدين عن قضيتنا أمام الرأي العام، ومساهمين بشكل فعال بتأمين فرص عمل لكل المعاقين السوريين في تركيا. فحملتنا ما بتشمل عنتاب فقط، إنما كل مدن تركيا، وحتى في الداخل إن شاء الله. ويتمنى بعد هالحملات- تكون ساهمنا بتأهيل ومساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة ليساهموا في المجتمع بشكل أكبر.

أحمد نصرو (من الفريق):

أنا كفيف ومدرب على لغة بريل، وتخرجت بالجامعة من قسم اللغة العربية. لكن قبل ما أنضم للفريق كان وضعي سيئ، وكنت أحس بالعزلة وبضياع الحقوق. لكن حالياً الوضع جيد. اكتسبنا مهارات عن آلية المناصرة بعد الانضمام للفريق، الهدف منها مناصرة ذوي الاحتياجات الخاصة ونشر التوعية بحقوقهم.

زكريا مشو (من الفريق):

تصاوبت بشظايا قذيفة دبابة بسنة 2013، أدت لقطع النخاع الشوكي، وصار معي شلل نصفي. مرّيت بظروف كثير صعبة، بما أنو لما تصاوبت كان عمري 18، والحمد لله قدرت أتجاوزها وصرت أطلع وأدخل. شفّت أكثر من شخص صرلوا أكثر من سنة مو طالع من غرفته بسبب إعاقته، وخجلان من الناس. ومشان هيك حبيت شارك بالمناصرة، وصار

التحرش في إدلب: بين أيام النظام والتحرير

مريم أحمد

أحكم النظام على مدينة إدلب حتى آذار 2015، فنشر الحواجز وجنّد الميليشيات وأطلق يد عناصر الدفاع الوطني على رقاب الناس وأعراضهم، فزاد التحرش في تلك الفترة. ولم يقتصر على كلمات غير مرغوبة تسمعها المرات، ليصل في بعض

جميع الدوائر الرسمية إلى حماة وحلب. وأصبحت هذه الحواجز مصدر إزعاج وإيذاء للنساء القادمات من شمال سورية، على مسمع الرجال القلائل الذي يسافرون معهم في بعض الأحيان. وقد أدت حالات التحرش على الحواجز بآلاف الطالبات إلى ترك جامعاتهن، بالإضافة إلى مئات الموظفين اللواتي نُقل مكان عملهن أو معتمد رواتبهن إلى مناطق سيطرة النظام، فأثرن ترك وظائفهن على خوض رحلة الخوف تلك.

سميرة (42 عاماً) مدرّسة من ريف حماة الشمالي، قالت لنا: «في بداية نيسان الماضي ذهبت، مع سبعة من زميلاتي، لاستلام رواتبنا من مدينة السقيلبية، فأوقفنا الحاجز الثاني وفتح باب السرفيس، الذي لم يكن فيه من الرجال غير السائق ورجل مسن بجانبه، وبدأ يتكلم بكلام لا يمكن قبوله. وعندما طلب منه السائق أن يتركنا تطور الأمر إلى إنزال إحدى زميلاتي وملازمة جسدها بحجة تفتيشها، ثم لم يتركنا إلا بعد أن دفعنا له مبلغ 30 ألف ليرة. منذ ذلك اليوم قررت عدم الذهاب إلى أي منطقة يسيطر عليها النظام».

أما التحرش في أماكن العمل فيأخذ شكلين؛ الأول هو الابتزاز الذي تتعرض له السيدات للحصول على وظيفة أو الاستمرار فيها، وهذا الشكل مضاعف عشرات المرات في مناطق سيطرة النظام عن مناطق الشمال، وتحدثت عنه جريدة «الوطن» المؤيدة والعديد من المواقع الإلكترونية، ويحدث خاصة في الساحل بسبب ارتفاع نسبة الأرامل. والشكل الآخر يطال المراجعات، وخاصة في المنظمات والمؤسسات التي تقدم مساعدات للنساء، فقد اشتكت عدة نسوة في الشمال من التحرش الذي تعرضن له أثناء مراجعات الجمعيات.

فاطمة ناشطة في مجال الدعم النفسي من ريف إدلب الجنوبي، قالت لـ«عين المدينة»: «هناك ضحايا للتحرش الوظيفي في مؤسسات الشمال، لكن هذه الحالات قليلة مقارنة مع المؤسسات في مناطق النظام. أثناء عملنا بالدعم النفسي صادفتنا حالتين فقط تعرضتا للتحرش في أماكن العمل».

الأحيان إلى ملازمة مناطق حساسة، وأحياناً يتطور إلى الاغتصاب على الحواجز، والضحية مجبرة على السكوت لعدة اعتبارات أهمها نظرة المجتمع والخوف من الاعتقال بتهم جاهزة من دعم للإرهاب إلى التآمر على الدولة. ولم يقتصر التحرش على التي تبالغ في زينتها أو تلبس الثياب المغرية، لينعكس الأمر وتصبح الملتزمات باللباس الطويل هن ضحية التحرش بتهمة السلفية. كانت آلاء طالبة أدب عربي في جامعة إدلب، وقالت لنا: «وصل رقم هاتفني إلى عنصر من الأمن السياسي عندما كنت أبحث عن أبي المعتقل. في البداية سايرته لعلني أصل إلى خبر عن والدي، لكنه بدأ يتمادي في الحديث، وعندما حاولت صده بدأ يهددني. فلم أجد طريقة للخلاص منه غير ترك الجامعة وتغيير رقم هاتفني، فكان تحرشه بي سبب لتعطيم حياتي وترك الكلية التي طالما حلمت بها».

بعد تحرير إدلب بدأ التحرش يختفي بسبب العقوبات الصارمة التي فرضها جيش الفتح سابقاً، وهيئة تحرير الشام حالياً. بالإضافة إلى انتشار عناصر من القوة الأمنية والداعيات في شوارع المدينة ومراقبة المارة، وانتشار الخمار، وكثرة الدروس الدينية ودورات تحفيظ القرآن التي أسهمت بشكل كبير في زيادة مظاهر التدين بين الشباب. لكن هذا لا يعني أبداً أن التحرش غير موجود، ففي بداية العام الماضي جلد جيش الفتح ثلاثة شبان، تراوحت أعمارهم بين 19 و23 عاماً، في الساحة العامة، بهذه التهمة.

أم عبد الله (38 عاماً) موظفة في منظمة إغاثية من مدينة إدلب، قالت لـ«عين المدينة»: «كان التحرش كثير منتشر أيام النظام، وكنت أضطر للمشي في الحارات الفرعية وأتجنب الطرق الرئيسية لأنه اللجان الشعبية والعساكر على الحواجز ما بيخلوا وحدة تمر بدون ما يسمعوها كم كلمة، وأحياناً يتطور الموقف لأكثر من كلام. لكن كل هائشي اختفى مع التحرير ودخول الثوار المدينة».

ولكن نساء المناطق المحررة لم ينجين من التحرش تماماً، فقد ظلت حواجز النظام كابوساً مرعباً لفتيات ونساء إدلب المضطرات إلى السفر إلى المناطق التي يسيطر عليها النظام، بعد نقل



محمد سرحيل

أطلق المجلس الإسلامي السوري بادرة جديدة، أواخر الشهر الماضي، دعا فيها، عبر بيان رسمي، الفصائل السورية إلى إنشاء جيش وطني ثوري، تقوده وزارة دفاع تشكلها الحكومة المؤقتة، تذوب فيه الفصائل وتقف صفاً واحداً في وجه «قوى الاستكبار» التي تحاول إجهاد ثورة الشعب وتجهز له «مشاريع عدوانية» قد تكون محافظةً إدلب فصلها القادم، على حد تعبير المجلس.

في عموم سورية، وفي إدلب خاصة، تشكل أرضية مناسبة لخطوة من هذا النوع، إلا أن آلية عمل الفصائل وعلاقتها الخارجية لم تختلف كثيراً.

التحديات وفرص النجاح

يقول د. الحاج: لا شك أن أمام هذه الخطوة العديد من العقبات والتحديات، لا سيما وأنه من الصعب الجزم بجديّة مواقف الفصائل، رغم سرعة استجابتها - وهو أمر جيد من حيث المبدأ - إلا أن التجارب المبررة السابقة لا تدعو إلى التفاؤل. ولذلك نرى ضرورة الضغط المدني على هذه الفصائل لأنه قد يساعد على تعاملها بجديّة مع هذه المبادرة. وأضاف: نجاح هذه الخطوة - وهو ما نتمناه - سيغيّر كثيراً في خريطة العمل العسكري؛ فمن جهة سيؤدي إلى ربط عسكري مركزي بين مناطق خفض التصعيد، وهو ما سيساعد على تحولها إلى مراكز قوة للمعارضة بدل تحولها مع الوقت إلى مكاسب للنظام، ومن جهة ثانية سيعيق مشروع القاعدة في إدلب، وربما يغيّر مصيرها تماماً. لذا فإن دعم هذه المبادرة غاية في الأهمية، حتى لو كانت فرص نجاحها ضئيلة.

من التحديات الأخرى أيضاً ضمّ وإقناع الفصائل التي لم توافق على المشروع أصلاً أو لم تعلق عليه، وهي فصائل لا يمكن إنكار ثقلها ودورها على الأرض. وعن أسباب عدم موافقتها يقول سيجري: محاولاتنا السابقة في التوحيد لم تنجح لأسباب معروفة للجميع، لعل من أهمها أن بعض الفصائل تمتلك مشروعاً خاصاً بعيداً عن الشعب ومطالب ثورته.

وأردف سيجري: لا بد، لنجاح أي مشروع وطني، من عمل مؤسسي يقوم على اختيار الأكفأ والمتابعة والمحاسبة. ومن هنا نحن مؤمنون تماماً بضرورة بناء المؤسسة العسكرية على أسس سليمة وإنهاء حالة التشرذم. وبالتالي فإن أي فصيل لا يعمل لأجل الوحدة يتحمل مسؤولية إعادة إنتاج الأسد، بل هو شريك في الجريمة في حق الشعب. وأمام هذا الاستحقاق الكبير يجب على الفصائل تحديد موقفها، فإما أن تنحاز إلى الشعب ومطالبه، وإلا فإن موقفها سيكون في صف أعداء الشعب والتاريخ!

استجابات بالجملة

سرعان ما لاقت هذه الدعوة صدىً واسعاً وقبولاً في أوساط الثورة كبادرة أمل قد تكون الأخيرة. وعلى غير المتوقع أبدت معظم الفصائل استجابتها، فبلغ عدد الفصائل الموافقة ما يزيد على 45 فصيلاً، باستثناء بضعة فصائل من أبرزها هيئة تحرير الشام في الشمال السوري، وفيلق الرحمن في الغوطة الشرقية، والجبهة الجنوبية العاملة في درعا.

أما الحكومة المؤقتة فقد سارعت إلى عقد اجتماع مع الفصائل، تم الاتفاق فيه على قيام رئيس الحكومة، د. جواد أبو حطب، بمهام وزير الدفاع، وتشكيل لجنة مفضضة من الفصائل مهمتها اختيار رئيس للأركان، كما تم الاتفاق على اعتماد مجلس القضاء الأعلى مرجعيةً وحيدة للقضاء في المناطق المحررة، والعمل على توحيد الجهود السياسية للمؤسسات الثورية كافة.

أهمية الخطوة والموقف الدولي منها

يتساءل البعض عن جدوى هذه الخطوة المتأخرة، لا سيما وأن خيار إزاحة النظام أو دعم أي عمل عسكري ضده بات من الماضي في حسابات بعض الدول، بل ربما أصبح شريكاً مهماً لها في مكافحة الإرهاب!

ورداً على ذلك يقول مصطفى سيجري، رئيس المكتب السياسي للواء المعتصم، في لقاء مع «عين المدينة»: هذه الخطوة ضرورية رغم تأخرها، وهي عامل مهم في استعادة روح الثورة وضبط العمل العسكري وإنهاء الفصائلية التي سببت الكثير من التراجع في مواجهة الأسد وأدواته من المجموعات الانفصالية والمتطرفة، مثل هذه الخطوة لا تحتاج داعماً دولياً، تلزمها الإرادة والوعي والصدق فقط. ونجدها الخطوة الأهم في قطع الطريق على من يريد إعادة إنتاج الأسد.

ويقول د. عبد الرحمن الحاج (خبير في الجماعات الإسلامية) في لقاء خاص: تلامس هذه الخطوة حاجة ماسّة يشعر بها الجميع، رغم تأخرها. وبالرغم من أن الظروف الحالية



لمن سىكسر الفنجان هذه المرة؟

مصطفى أبو شمس

لم يكن العرب الأققاح، وهم أهل القهوة المرّة، يكسرون الفنجان لأحد، حتى أتى يوم اجتمع فيه عشرات شيوخ العشائر في مضافة أدهم في مءىنة حماة، لحل خلاف بين عشيرتين، ونأدى المضيف على خادمه طالباً منه «صب القهوة للشيوخ».

لقدرهم وفقرهم، بعد أن مات معظم من قاتل لأجل الوطن، وتحوّل الجهاد إلى «بيعة»، وبات السبب الرئىسى لأنضمامك إلى فصيل معين «حصّة غذائية ومنحة مالية». وللمساجد حكايته الأخرى، فالمطلوب أن تؤم الناس بذات النعمة التي اعتادوها منذ سنتين، وأن تمتاز بصوت حسن يعينهم على الخشوع. وبعد ذلك ما الضير إن كانت الخطبة جاهزة، وتوزع على المساجد بنسخة واحدة، والفتاوى حاضرة، و«كل مخالفة بدعة»، فالشعب لا يعرف دينه، وعليه أن يفرغ «الذهن من محتواه» ويمتثل للءعوة الجديدة، مقتدياً بما فعله الءاعية عمرو خالد أمام الكعبة في الءعاء لمتابعي صفحته، وجعل مفتاح الجنة مرتبطاً بـ«لايك» عليها، أما المرتبة العليا فلمن ضغط على زر «المشاركة».

وفي الجهة المقابلة- وإن تجاوزنا الحد قليلاً- ف«الجهاد في بورما» والتعاطف مع أهلها واجب علينا، في وقت بات فيه التعاطف مع مهجّري حلب تهمة تتفادها، والءفاع عما تبقى من أرض الثورة وموت أبناء الرقة ودير الزور في المرتبة الثانية أو ربما الثالثة أمام احتفالات الأسد بانتصاراته فيها. كيف لا والمكرمة الروسية في «الهدنة» أعطتنا مجالاً واسعاً للتفكير في خلافتنا ومصالحنا الشخصية، فتأججت أققادنا القءديمة، وصار قتال «المرءد» المزعوم أولى من قتال «الكافر»، والتخوين سمة الوقت، والسرقة «تمويلاً للثورة».

هناك ثورة أخرى تعتمل في الصدور، أو جزتها عجوز لا يتسع عقلها للدين الجديد، وليست أما لعضو مجلس منتخب أو قائد فصيل عسكري، عندما قالت: «الثورة يوم اللي كنا بالمغارات، نءعي لولادنا ينتصروا عالظالم ونستنى الفرج ونتسامح قبل ما ننام. طيارات بشار وحدت الجرح والناس. الموت وحده بيغسل القلوب، والكفن مالو جيوب».

من أين نبدأ بالضيافة، ومن سىكسر فنجان القهوة، لينفض هذا الجمع ويتركنا نكمل ما بدأناه، دون خادم أو شيخ ومن «عاليمين ولو أبو زيد عالشمال»؟

وخلافاً للممثل المتداول الغريب عنهم «عاليمين ولو أبو زيد عالشمال»، كان من عادة العرب خصّ كبير المشايخ بالضيافة أولاً، فوقف الخادم محتاراً من أين يبدأ، والتفت إلى سيده الذي نظر في الوجوه ليختار من بينهم من تبدأ عنده «ءورة الفنجان»، وقال لخادمه: «من عند الشيخ فلان وعاليمين». نفذ الخادم كلام سيده فما كان من الضيف إلا أن احتسى قهوته ووضع في الفنجان ليرة ذهبية إكراماً للخادم، الذي، لشدة فرحه، كسر الفنجان وقال: «ما حدا يشرب فيه من بعدك يا شيخ»، فخرج الجميع من المضافة غاضبين، وعدها كل منهم إهانة في حقّه، وصار الخلاف أعمق مما كان عليه.

وفق اعتبارات عائلية ومناطقية تتشكل المجالس المحلية ومجالس الشورى والفصائل العسكرية وقياداتها ممن نعرف ولا نعرف، ويتصدر المساجد خطباء وءعاة لم نسمع عن علمهم في ما سبق، في تحييد واضح لأصحاب الفكر والعلم والحكمة. وبات لسان الحال يستعير جملة «من أنتم؟» لا تنءراً بل ألماً. لتعود المشكلة- بعد قرون من الزمن- في «أن نختار من كل قبيلة رجلاً»، ولكن اجتماعهم هذه المرة لا لقتل نبي، بل في الحقيقة لتدمير ثورة شعب وقتل أبنائها وتجويعهم. وكعادة انتخابات مجلس الشعب السوري، باستثناء مقاعد الجبهة الوطنية التقدمية التي تقوم على سياسة «غصباً عنك»، فكانت المقاعد القليلة المتبقية تذهب إلى بعض رجال العشائر الكبيرة وأصحاب رؤوس الأموال؛ يجري الآن اختيار المجالس المحلية لتحقيق تلك التوازنات العائلية بحسب حجمها وسطوتها، ويصبح لزاماً على المنتخب أن يدافع عن حقوق عائلته ومنتخبه، في الإغاثة والمساعدات، قبل حقوق أصحاب الحاجات والأرامل واليتامى وعائلات الشهداء.

ولا تختلف حال الفصائل عن سابقته، إذ يجري توزيع الرتب القيادية لا من خلال معرفتك بالعلوم العسكرية وقدمك الوظيفي وقدراتك القتالية، بل من خلال تقربك من السلطان وقدرتك على تنفيذ أوامره، والنفاق له، وأحياناً بقدر ما تستطيع تحصيله من مال تضعه في خزينته، تاركاً المقاتلين

PRIVATE MILITARY COMPANIES IN RUSSIA

	RSB-GROUP	ANTITERROR	MAP	MSGROUP	CENTRE R	ATKGROUP	SLAVCORPS	PMC WAGNER	E.N.O.T.	COSSACKS
PARTICIPATING IN WARS										
UKRAINE ('DPR', 'LPR')	✓	?	✓	?	?	✓	✓	✓	✓	✓
SYRIA	?	✓	?	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓
OTHER CONFLICTS	?	✓	?	✓	✓	?	?	✓	✓	✓



InfoNaplom.org

مجموعة فاغنر الروسية وإرسال المرتزقة إلى سورية

د. علي حافظ

وأصيب 80 آخرون بجروح خطيرة، أثناء القتال في سورية بين خريف 2015 وربيع 2016. إلا أن بعض التقارير الإعلامية ذكرت معلومات حول ازدياد عدد قتلى المجموعة بشكل واضح في النصف الأول من عام 2017، إذ غالباً ما تقع الخسائر الرئيسية للروس في سورية على «مجموعة فاغنر»، لأنها تعد الجزء الرئيس من القوات البرية في المناطق الساخنة. كذلك وقع على عناصر المجموعة اختبار أحدث الأسلحة، على حد تعبير وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو.

ووفقاً لمعلومات شركة «سبارك-إنترفاكس» فإن جميع الأموال المخصصة للمجموعة (بغض النظر عن الأسلحة والذخائر) تقدم من «رجال أعمال رفيعي المستوى» تبقى أسماؤهم في سرية تامة. المعروف فقط أمين الصندوق يفجيني بريغوزين الذي يدفع مصاريف المجموعة. من المثير للاهتمام أيضاً أن قصة «مجموعة فاغنر» تحولت إلى أسطورة، إذ قدمت للمجتمع الروسي كنوع من «روبن هود» روسي يقوم بأعمال «جيدة» في سورية، على الرغم من الأدلة الدامغة التي تؤكد قيامها بعمليات تعذيب ومجازر حرب وإبادة. لا سيما بعد نشر شريط فيديو في 30 حزيران 2017، يُظهر عدداً من مرتزقة «فاغنر» وهم يعذبون شاباً سورياً، ويُسمع فيه بوضوح الكلام والموسيقى الروسيان، ويظهر على كتف أحد المرتزقة اقتباس باللغة الروسية يقول: «أنا فقط سأؤمك جداً، جداً».

ضمن الجيش الروسي، في مقال له على موقع «الاقتصاد اليوم»: «وفقاً لوزارة الدفاع في الاتحاد الروسي، وغيرها من الأدلة غير المباشرة، فإن مثل هذا الضابط لم يكن أبداً في هذا التشكيل من الجيش، سواء في القيادة أو في أي مراكز أخرى».

بدأت «فاغنر» أولى عملياتها بنزع سلاح الوحدات الأوكرانية في شبه جزيرة القرم عام 2014. ثم قدمت مساعدات وخبرات كبيرة في تنظيم القوات المسلحة بإقليم دونباس ضد سلطات كييف الشرعية. انتقلت المجموعة إلى سورية في تشرين الأول 2015، حيث تلقت أولى خسائرها البشرية أثناء قصف إحدى القواعد العسكرية الروسية بالهاون. شارك عناصر المجموعة في استعادة مدينة تدمر من داعش في آذار 2016، وفي السيطرة على عاصمة الشمال حلب أواخر العام نفسه. قدر عدد المجموعة عند تأسيسها بحوالي 400 شخص، وأصبح 1600 عام 2016، ومع بداية عام 2017 وصل إلى 2500 مرتزق تدفع رواتبهم نقداً. فيتلقى العنصر أثناء الخدمة في أراضي روسيا 80-100 ألف روبل شهرياً (1400-1750 دولار أميركي تقريباً)، أما في سورية فيأخذ ضعفي هذا المبلغ، إضافة إلى مهمات القتال والتعويضات. وفي حال الموت يُدفع للأسرة ما يصل إلى 5 ملايين روبل (أقل بقليل من تسعة آلاف دولار)، بشرط عدم الكشف عن مكان الوفاة.

ووفقاً لموقع Fontanka.ru فإن «مجموعة فاغنر» فقدت حوالي 32 شخصاً،

«مجموعة فاغنر» هو الاسم غير الرسمي للشركة العسكرية الخاصة «فاغنر»، التي تجند المرتزقة الروس وتدريبهم ثم ترسلهم للقتال في سورية. وهي أقرب إلى التشكيل المسلح الذي يؤدي مهام الجيش نفسها، لكنه منظم وممول من أفراد وليس من الدولة. غالباً ما تستخدم «فاغنر» كوسيلة لتنفيذ مهام عسكرية قادرة في النزاعات المحلية والإقليمية، وكقوة بديلة للحفاظ على مكاسب روسيا في سورية، ولا سيما في الوصول إلى مرافق البنية التحتية لإنتاج النفط والغاز.

تأسست المجموعة على يد مجموعة من الضباط المتقاعدين من مختلف صنوف التشكيلات العسكرية الروسية، وتوجد قاعدة تدريبها في منطقة كراسنودار (مركز مولكينو). تم تشكيلها عام 2015، رغم أن فلاديمير بوتين قد دعم مبدأ إنشائها عام 2012، بعدما رأى فيها «أداة نفوذ في تحقيق المصالح القومية الروسية دون مشاركة مباشرة من الدولة». يعد «الضيق السلافي» نموذجاً أولياً لـ «مجموعة فاغنر»، وقد قاتل في سورية أيضاً، منذ عام 2013، لكنه لُوحق في روسيا بتهمة الارتزاق وتم حله. وحسب وسائل الإعلام فإن العقيد ديمتري أوتكين، ضابط المخابرات العسكرية السابق، هو قائد «فاغنر»، والذي كان حتى عام 2013 قائداً للوحدة 700 التابعة للواء المهام الخاصة الثاني ضمن هيئة الأركان العامة، رغم نفي الكاتب ديمتري سيكورسكي، المقرب من الكرملين، تسلم أوتكين هذه الرتبة

المليشيات الشيعية في نبل والزهران

■ أحمد عيشة

«في عيد الفطر كانوا يحصدون أراضينا، وفي عيد الأضحى كانوا يقطعون أشجار الزيتون»؛ هكذا لخص الوضع أحد سكان القرى المحتلة من قبل المليشيات الشيعية، الذين يمرون ببيوتهم وليس لهم سوى حق النظر إلى خرابها.

ألف نسمة، أن مصيرهم مرتبط بالتعايش مع سكان القرى المحيطة؟ وأنه لا يمكن اقتلاع سكان هذه القرى والبلدات من جذورهم، مهما قامت مليشياتهم بعمليات تضاوي أفعال الصهاينة في مشروعاتهم الاستيطانية؟ وأن المشروع الإيراني متناقض تماماً مع حياتهم ومستقبلهم الذي لا يمكن

أن يكون إلا بالتفاهم مع جيرانهم؟ وهل يدركون مدى الحقد الذي تزرعه تلك المليشيات في نفوس أبناء القرى المجاورة، وأي آثار تترتب على ذلك؟

كان الدور الإيراني يعمل -منذ ما قبل الثورة- على إثارة هذا التمييز، ومحاولته انتزاع البلدات الشيعية من محيطها وتدمير هويتها وانتمائها إلى سورية. فعمدت إيران إلى إقامة الحسينيات، التي كانت بمثابة مراكز لنشر الفكر الشيعي بنزعة عنادية للآخر، إضافة إلى كونها مراكز تجنيد وتشجيع للبعض من خلال المكاسب الآنية مثل البعثات العلمية للطلبة إلى إيران، وتقديم بعض المنح والرواتب، ورعاية بعض المناسبات الاجتماعية، وبعض الخدمات الأخرى. لكن دولة الولي الفقيه تكشف اليوم عن وجه أكثر بشاعة في تنفيذ مشروعها الذي يقتضي تدمير مجتمعنا بعد بلدنا، وإقامة صدوع لا تنتهي بين الناس والطوائف.

ما يجب أن يعيه سكان تلك البلدات أن أي جماعة أجنبية لا بد أن ترحل في النهاية، وأن سلطة الملالي لا يمكن أن تشكل حماية أبدية لهم، وستمضي ذات يوم مهما كبر طغيانها، وأن حياتهم مع جيرانهم في سورية هي الضمان الحقيقي لهم في وطن للجميع، دون الطغاة وداعميهم. فقد انطلقت الثورة لتطالب بالحرية والكرامة لكل دون تمييز، وضد سياسة التمييز الطائفي التي ينتهجها النظام، ولم تكن موجّهة ضد السوريين أيّاً كان انتماءهم الديني أو المذهبي.

القرى أبشع من غيرها؛ فقرى تلجبين ورتيان ومعرستة الخان كان لها النصيب الأكبر، ولكن هذا لم يمنع المليشيات من نهب تلك القرى بكل ما فيها، أو كل ما بقي منها، من أثاث ومفروشات ونجارة وأبواب، وصولاً إلى اقتلاع أرضيات البيوت، إلى أن أصبحت تشبه الخرابات القديمة. وكل هذا كان ينقل إلى بلدتي نبل والزهران، وبطقوس تحلل نهب وسبي هذه القرى والبلدات.

ولم تكتف المليشيات بنهب البيوت وما فيها، إذ باشرت بزراعة وحصاد أراضي تلك القرى واستثمار كرومها، بمساعدة من بعض الشبيحة في القرى المجاورة التي احتلتها مليشيات حزب الاتحاد الديمقراطي (pyd). وبالمناسبة فالحدود بين هذين الطرفين آمنة، ولا تبعد إحدى النقاط سوى 2 كم.

ومن سخريّة الأقدار أن بعض أهالي هذه القرى المحتلة، ممن هجروا إلى القرى المجاورة، ذهبوا ليعملوا بالأجرة في أراضيهم لدى تلك المليشيات، دون القدرة على الإفصاح عن شيء خوفاً من الاعتقال والإهانات.

فبعد قتل وتشريد البشر جرى تدمير ونهب الحجر، وبعدها قطع الشجر؛ ليكتمل بذلك مثلث البشاعة البربري الذي تمارسه المليشيات الشيعية، ويكشف عن حقيقة مشروع الولي الفقيه في بلادنا، وهو تحويل التنوع إلى انقسامات مدمرة.

ولكن هل يدرك سكان هاتين البلدتين، الذين يبلغ تعدادهم بين 60 إلى 70

منذ بداية الثورة نشأت مليشيات خاصة في بلدتي نبل والزهران، الشيعيتين، بريف حلب. وتلقنا دعماً خاصاً من إيران بالرغم من الحصار الشكلي الذي كان مفروضاً عليهما، فالطريق عبر عفرين مفتوح، ومروحيات النظام ترمي لهم شتى أنواع المساعدات، كما أن التهريب عبر مناطق سيطرة الجيش الحر لم ينقطع. في بداية عام 2016، وتحديداً في الرابع من شباط، تمكنت المليشيات المتقدمة من محور السجن المركزي وقرية باشكوي، من الالتقاء مع المليشيات المتقدمة من نبل والزهران، في قرية معرستة الخان التي تقع إلى الشرق من هاتين البلدتين بحوالي 6 إلى 7 كم. وهكذا فك الحصار، بمساعدة الطيران الروسي الذي استمر في القصف طيلة أكثر من أسبوعين على المحور المراد اجتياحه والقرى المحيطة بطريق الاجتياح، حيث جرت أعنف معركة قتل فيها على الأقل حوالي 60 من المدافعين عن تلك القرى.

ومنذ ذلك التاريخ تقاسمت مليشيات نبل والزهران السيطرة على القرى السبعة المحيطة، ثلاث تشرف عليها مليشيات نبل، وأربع لمليشيات الزهران، والقيادة واحدة: الحرس الثوري الإيراني. وأصبحت هذه القرى مملوكة بكل ما فيها للمليشيات، بعد نصب الحواجز على مداخلها ومخارجها، إلى آخر حاجز لهم عند قرية دوير الزيتون، ويليه مباشرة حاجز لقوات النظام. بالطبع كان التدمير في بعض

في عام 2015 أعلنت الحركة المعروفة باسم «بوكو حرام» في نيجيريا بيعتها لداعش، متحوّلة إلى «ولاية غرب أفريقية» التابعة للتنظيم. وقد أصدر مركز أبحاث «سيتا» التركي دراسة بعنوان «بوكو حرام: تشريح منظمة» من تأليف أمراه ككلي وخيري عمر وإبراهيم بشير عبد الأية. وفي ما يلي عرض لأبرز ما ورد فيه.

قراءة في تجربة «بوكو حرام»

حين تبنت الولايات الجنوبية التعليم الحديث البريطاني، واجهه مجتمع المسلمين في الشمال بالرفض، ونسج علاقات نشطة مع العالم الإسلامي. وهكذا حدث شرخ كبير، ذي مظهر ثقافي، بين الشمال والجنوب.

أي أن «بوكو حرام»، وسابقتها، تغذت على غياب العدالة بين مكونات البلد، كما على الفساد الحكومي، فكانت الأيديولوجيا السلفية تقدم أفقاً متخيلاً للعدالة والمساواة، مكّنتها من استقطاب الشبان الساخطين في المجتمع المسلم. وقبل «بوكو حرام» أسس الشيخ محمود أبو بكر غومي حركة سلفية باسم «إزالة البدع وإقامة السنة» (اختصاراً: إزالة) في أواخر السبعينات، في بيئة سادت فيها، قبل ذلك، التأويلات الصوفية للإسلام (القادرية والتيجانية). انتقدت «إزالة» الفساد الحكومي و«الانهيار الأخلاقي» للمجتمع، دون أن تواجه السلطة بشكل مباشر.

كما كان للثورة الإسلامية في إيران (1979) تأثيرها المهم في مجتمع مسلمي نيجيريا ونخبة المثقفة. فقامت «الحركة الإسلامية في نيجيريا» بقيادة إبراهيم زكازكي بالترويج للمذهب الشيعي والثورة الإيرانية. ومن جهة أخرى انتشرت الأفكار الإسلامية الحديثة بين الشبان المسلمين، وكانت الترجمة الإنكليزية لكتاب سيد قطب «معالم في الطريق» من أبرز وسائل هذا الانتشار. وصار النقاش حول مفهوم المجتمع الجاهلي مأثوفاً. تبنى محمد يوسف التأويل الجهادي للسلفية، وتمتع بموهبة خطابية بارزة. بدأ يعبر عن أفكاره منذ العام 2000، أي بصورة متزامنة مع بداية دخول العالم الإسلامي نفق العنف. وانبثقت من تعاليمه منظمة شغلت، بعملياتها الإرهابية، نيجيريا والدول المجاورة. قامت أيديولوجيا المنظمة على فكرة محورية هي أن التعليم الغربي حرام، وهذا هو معنى عبارة «بوكو حرام» في لغة الهاوسا. فقد اعتبر يوسف أن المؤسسات التعليمية في نيجيريا تدمر القيم الإسلامية وتدفع بالناس إلى الكفر. ووصف الدولة النيجيرية بالطاغوت، متهماً كل من يعمل في إطارها بالكفر، داعياً

نالت نيجيريا استقلالها في العام 1960، وتبنت نمطاً فيدرالياً في إدارة البلاد ذات التنوع الإثني والديني. تأثرت النخب المثقفة للمسلمين، في الولايات الشمالية، بالتحوّلات الاجتماعية والسياسية في العالم الإسلامي، بعد عودة الطلاب الذين درسوا في جامعات البلدان الإسلامية، حاملين أفكاراً جديدة وتأويلات مختلفة، في مواجهة المفهوم التقليدي للإسلام في نيجيريا، منذ أواخر سبعينات القرن الماضي. كما أن أحداثاً كبرى هزت العالم الإسلامي؛ كاحتلال أفغانستان وغزو العراق والحرب في سورية، أثرت بقوة في مسلمي نيجيريا.

ساد حكم دكتاتوري في البلاد منذ الاستقلال إلى عام 1999، حين تم الانتقال إلى نظام فيدرالي ديمقراطي، يتناوب فيه على منصب الرئاسة مسيحي من الجنوب فمسلم من الشمال. فحكم الرئيس المسيحي أوليسيفون أوباسانجو من 1999 إلى 2007؛ وجاء بعده الرئيس المسلم عمر موسى يار أدوا في عام 2007، لكنه مات، في 2010، قبل إتمام ولايته، فحل محله نائبه المسيحي غودلاك جونتان. ما أثار جدلاً وردات فعل لدى مسلمي البلاد. وفي 2011 جرت انتخابات رئاسية فاز فيها جونتان الذي عاد إلى ترشيح نفسه مجدداً في 2015، لكنه خسر أمام منافسه المسلم محمد بخاري.

تقع ولاية بورنو، ذات الغالبية السكانية المسلمة في شمال البلاد، عند تقاطع حدود نيجيريا مع النيجر وتشاد والكاميرون، ويتحدث سكانها بعدد من اللغات المحلية (هاوسا، كانوري، فولاني). وفي المرحلة الأولى من دعوة مؤسس «بوكو حرام» محمد يوسف، كانت تعاليمه تنقل على أشرطة كاسيت عبر الحدود بين شمال نيجيريا وجنوب النيجر، وساعدت على ذلك التشابهات اللغوية والدينية العابرة للحدود. بالمقابل هناك اختلافات كبيرة بين شمال نيجيريا وجنوبها في اللغة والدين والثقافة، الأمر الذي عمقته سياسات الإدارة الاستعمارية البريطانية منذ أوائل القرن التاسع عشر. ففي

الانتخابات. هذه العلاقات التي أقامها يوسف مع السياسة المحليين، والدعم المالي الذي تلقاه منهم، سيساعدانه على الانتقال من حركة دعوية إلى منظمة جهادية.

لوحقت «بوكو حرام» بعنف فانتقلت إلى العمل السري، مع بنية قائمة على إمارة ومجلس شوري ومجلس تنفيذي على المستوى العام، ومثلها في كل منطقة على حدة. وبدأت عملياتها باغتيال المخبرين، كما استهدفت رجال الأمن والقادة المحليين للحزب الحاكم في ولاية بورنو ذات الغالبية المسلمة.

وفي العام 2009 تعرضت الحركة لقمع شديد، قتل نتيجته نحو 700 من أفرادها، بمن فيهم مؤسسها محمد يوسف. لكنها تمكنت من ترميم نفسها بسرعة، ونجحت، في العام 2010، في تنفيذ عملية للسيطرة على أحد السجون فحررت المئات ومن بينهم عدد كبير من أنصارها. بعد ذلك أقامت الحركة صلات مع منظمات جهادية عالمية، وتلقى أعضاؤها تدريبات عسكرية، ثم أخذت عملياتها تشبه عمليات منظمات كالقاعدة.

وحتى اليوم قتل في الحرب التي أطلقتها «بوكو حرام» نحو عشرين ألف شخص، وخرجت من الخدمة مزارع ومدارس ومستشفيات ومؤسسات خدمية أخرى، ونزح نحو مليونين من ديارهم، كما تأثر بأحداث العنف نحو عشرين مليون إنسان في عموم الإقليم.

في أواخر 2016 أعلن الرئيس النيجيري محمد بخاري سيطرة قوات الأمن على آخر معاقل «بوكو حرام». لكن رأس المنظمة وقتها، أبو بكر شيكاو، أعلن، بعد مدة قصيرة في تسجيل مصور، أن الحرب مستمرة حتى إقامة الخلافة الإسلامية في نيجيريا. تلا هذا الإعلان قيام المنظمة بعدة هجمات، بينها عمليات انتحارية، أشهرها الهجوم على جامعة ميديفوري في كانون الثاني 2017.

قامت المنظمة بعمليات كثيرة ومتنوعة، كالاغتيالات والهجمات المسلحة على المؤسسات الحكومية والمدارس والجوامع والكنائس، والعمليات الانتحارية والسيارات المفخخة. وتوسع ميدان عملياتها جغرافياً باتجاه الجنوب وصولاً إلى العاصمة أبوجا نفسها. لكن العملية التي لاقت الصدى الإعلامي الأكبر وطرحت اسم «بوكو حرام» على مستوى عالمي كانت اختطاف 270 تلميذة من إحدى المدارس في العام 2014. فقد قامت مظاهرات احتجاج في مختلف مدن العالم ضد هذه العملية، وأطلقت ميشيل أوباما -زوجة الرئيس الأميركي السابق- حملة على وسائل التواصل الاجتماعي طالبت فيها بإطلاق سراح المخطوفات.



Reuters

إلى محاربة النظام بكافة الوسائل المتوفرة. وإذا كانت المنظمة تعرف إعلامياً باسم «بوكو حرام»، فإن اسمها الرسمي هو «جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد».

لم يلتحق يوسف نفسه بالمدارس الحديثة، بل تلقى تعليماً دينياً في المدارس التقليدية، وكان يتقن اللغات المحلية (هاوسا وكانوري)، وتعلم اللغتين العربية والإنكليزية. انضم إلى حركة «إزالة» التي كانت علاقته بقادتها إشكالية. فمن جهة كانوا معجبين بقدراته الخطابية فعينوه مدرساً للتفسير في أحد الجوامع، لكنه، من جهة ثانية، ظل ضعيفاً في العلوم الشرعية، فكان الخاسر دوماً في النقاشات العلمية التي خاضها مع قادة الحركة الذين أقلقهم تطور أفكار يوسف فحاولوا إقناعه، لكنه تمسك بأفكاره. ونتيجة ذلك تم، بدءاً من 2008، طرد أنصاره من الجوامع التي تسيطر عليها «إزالة». كانت هذه نقطة القطيعة التامة بين الطرفين، وبداية تحول التيار اليوسفي إلى منظمة «بوكو حرام».

ليس هناك اتفاق حول تاريخ تأسيس «بوكو حرام». فهناك من يعود به إلى 1995، مقابل روايات تحددته بالعام 2003 حين تشكلت أول نواة للحركة في ولاية «يوبي» شمال غرب نيجيريا، من مجموعة شبان أطلقوا على أنفسهم اسم «طالبان نيجيريا»، وتمركزوا في منطقة غابات تصعب السيطرة عليها، وبدأوا منها أولى هجماتهم المسلحة ضد المؤسسات الحكومية.

في العام 2005 قام يوسف بزيارة السعودية، بعد قمع الحكومة النيجيرية لتمرّد «كاناما» بعنف شديد. وبعد عودته استأنف نشر الدعوة التي التحق بها مزيد من الأتباع. ويقال إن رجال السياسة المحليين استثمروا في شعبية يوسف وحركته مقابل نيل تأييدهم في



البوط الركن عصام زهر الدين

النظام السوري وثقافة الحذاء

أبو محمد الإدلبي

قبل في الحكاية إن ملكاً كان يحكم دولة واسعة جداً قام يوماً برحلة برية طويلة. وخلال عودته وجد أن قدميه تورمتا بسبب المشي في الطرق الوعرة فأصدر أمراً بتغطية كل الشوارع بالجلد، لكن أحد وزرائه أشار عليه بوضع قطعة جلد صغيرة تحت قدمي الملك فقط، فكانت هذه بداية انتعال الأحذية.



sa6odi

الثقافة بوصفها أداة تحرير للعقل وارتقاء بالمجتمع نحو دروب الحضارة والتحرر؛ كانت تلعب دوراً مكملاً لسيطرة الاستبداد بتبعيتها المطلقة للنظام. لقد كانت هاتان «المؤسستان» - وغيرهما طبعاً - «معملاً مليئاً بالأحذية المفخخة» لمنع أي انحراف عن مقاصد السلطة.

وقد برز نمط تفكير رجال النظام السوري وعملهم على مستوى القيادة والقاعدة الشعبية على حد سواء - في الإبادة الهمجية للشعب المعارض له والتأثر عليه، كشكل وحيد لوجود النظام/الحذاء العسكري متوجاً على حكم سورية، لا يتنافس أحد إلا من خلاله.

حتى الفاسدين من المعارضة الذين عادوا إلى «حضان الحذاء» كان الشرط المفروض عليهم، والذي كانوا يعرفونه ويوافقون عليه، هو الركوع ليقبلوا «الحذاء» ثم ينظر «الحذاء الكبير» في أمرهم وقد لا يقبل «توبتهم»، كما حصل مع الوضع بسام الملك الذي ما زال ينتظر موافقة «الحذاء الأول» على عودته. إن من كانوا يسمون فنانيين، أمثال بسام كوسا ودريد لحام وزهير عبد الكريم ورعدة، وغيرهم الكثير من المثيرين للاشمئزاز بانحطاطهم وتفاهتهم وعبوديتهم وبيعهم للشعب السوري مقابل مصلحتهم الرخيصة؛ يقدمون مثلاً ساطعاً على «ثقافة النظم السوداء» مقابل ثقافة التحرر والحرية والنور. إن عبيد روما وأسراها، الذين ثاروا على الإمبراطورية الرومانية وجيشها الهائل حتى شكلوا خطراً داهماً عليها، ما أدى إلى إرسال جيوش جرارة لإبادتهم؛ لهم أشد تحرراً وشرقاً ونبلاً من حثالات الأحذية على طول البلاد العربية وعرضها.

ويقال إن الإنسان عرف الحذاء منذ ما يزيد على أربعين ألف عام. وقد استخدم الفراعنة الصنادل المصنوعة من الأوراق والجلود سنة 2700 ق. م، وكذلك لبسها الإغريق والرومان القدماء، ثم تطورت لتتجاوز وظيفتها في الوقاية إلى الأناقة وإبراز الوضع الاجتماعي. وتقول المصادر إن تطور الحذاء وصل إلى تحقيق درجة كبيرة من الفوائد: فقد اخترع حذاء يبعد القدم تلقائياً عن الأتغام، وحذاء ذكي ينبه الكفيف وخفيف النظر، وحذاء تُشحن به بطارية الهاتف النقال... إلخ.

ووفق علماء النفس تكشف الأحذية عن شخصية صاحبها، فهي تظهر إحساسه بالأناقة ودرجة اهتمامه بالتفاصيل. ومن المثير للاهتمام أن أحد متاحف ألمانيا أقام معرضاً فنياً خصص بالكامل للوحة الفنان الهولندي الشهير فنسنت فان كوخ «حذاء» التي يعود تاريخ رسمها إلى العام 1886. ويبين المعرض الأهمية الاستثنائية لهذه اللوحة في فلسفة الفن المعاصر وعلاقتها بتاريخ الأفكار، إذ حظيت باهتمام العديد من الفلاسفة ومؤرخي الفن، من أمثال الفيلسوف الألماني مارتين هيدغر والفيلسوف الفرنسي جاك دريدا ومؤرخ الفن الليتواني ماير شابيرو. ومن هذه المقدمة المختصرة جداً لتاريخ الحذاء يلاحظ أنه حاز أهمية اقتصادية وعلمية وثقافية وغيرها. وهذا، إن عبر عن شيء فهو يعبر عن تطور العقل الأوروبي في كافة المجالات.

لكن المثير للدهشة هو أن مفهوم الحذاء أخذ شكلاً غريباً ومضامين سياسية حادة لدى النظام السوري ومواليه من جهة، ولدى المعارضين الثوريين لهذا النظام من جهة أخرى. وخلاصة الأمر أن النظام وضع «الحذاء العسكري» كمصدر شرعية وحيد لإعلان التأييد له، وكشرط أولي ورئيسي «للعائدين إلى حضان الوطن». وفي الحقيقة كان «الحذاء» كان هو «الحاكم» في سورية منذ عام 1963، ونال السيادة المطلقة منذ انقلاب تشرين الثاني 1970. فقد أنشأ حافظ الأسد الأجهزة الأمنية والتشكيلات العسكرية الطائفية، التي كانت تتدخل في جميع شؤون الشعب بشكل فظ في البداية ثم بالقوة العارية في فترة الثمانينات. ولكي يكمل سيادته على المجتمع كان لا بد من السيطرة المطلقة على المؤسسات المدنية مثل النقابات (اتحاد عمال، اتحاد رياضي، اتحاد نسائي... إلخ) وتحويلها إلى «أحذية» تابعة، مهمتها تدجين المجتمع ومراقبته والسيطرة عليه. وقد لعب البعث دوراً خاصاً في هذا المجال بعد تحوله من حزب سياسي إلى «حذاء» أمني وعسكري. ومن أبرز المشاهد المساوية في هذا الواقع أن «اتحاد الكتاب العرب» و«نقابة الفنانين السوريين»، أي النخبة التي كان من المفروض أن تنتج



السوريون في الإعلام التركي

إجرام... وتشرد... ومبالغات

إعداد رياض أولار

قال تصريح رسمي لوزارة الداخلية التركية: «إن التوترات التي تحصل، من حين لآخر، بين السوريين والأتراك من جهة، وبين السوريين أنفسهم من جهة أخرى. قد ضُخمت ونُقلت بطريقة تفجر الانفعالات داخل المجتمع، وهناك محاولات لجعلها وسيلة للنفاق السياسي».

وقالت إن «المعدل السنوي للحوادث التي شارك فيها سوريون في تركيا، بين عامي 2014 و2017، هو 1.32% من مجمل الجرائم التي ارتكبت في البلاد. والقسم الأكبر من هذه الحوادث حصل بين السوريين أنفسهم». وأضافت: بحسب المعطيات التي بأيدينا. وعندما نأخذ أعداد الضيوف السوريين في الاعتبار، نجد أن الجرائم التي يرتكبونها قليلة جداً نسبةً إلى المعدل العام. وفي ما يلي جولة على بعض أخبار السوريين في تركيا كما نشرتها صحف ومواقع إخبارية مؤخراً.

تركية تشغل سوريات بالدعارة في أضنة

تحركت دورية من أممية الأخلاقية بأضنة إلى حي دينيزلي بمنطقة سيهان، بناء على إخبارية تفيد بوجود شبكة دعارة في أحد المنازل. مثل أحد رجال الشرطة دور الزبون وطلب من صاحبة المنزل (ايضير. ك) امرأة سورية، فطلبت منه 30 ليرة أجرة السيرير و100 ليرة للمرأة. وقد صرح الشرطي عن هويته فوراً عند دخول المرأة إليه وألقى القبض عليها. وقالت في إفادتها إنها هربت من الحرب، وإنها تعمل بالدعارة لإعالة أطفالها. وبناء على المعلومات ألقى القبض على 9 سوريات أخريات كن يعملن في المنزل نفسه. وأطلق سراح السوريات لاحقاً، بينما حوّلت صاحبة المنزل إلى المحكمة المناوئة.

الاعتداء على أسر سورية في مرسين بعد جريمة قتل

اعتدت مجموعة من الأتراك على سوريين في منطقة أكدينيز بمرسين، بعد مقتل الشاب التركي (حنيفة. ح) على يد شاب سوري طعنًا بالسكين.

وجرح سبعة سوريين إثر الشجار، وألقى القبض على 11 شخصاً انخرطوا فيه، وتضرر محلان وثلاثة سيارات نتيجة استعمال المتشاجرين العصي والحجارة. وقد حضر مدير أمن مرسين، محمد شاهني، إلى مكان الحادث وطالب الأهالي بعدم الانجرار وراء محاولات الاستفزاز.

وقد نقل الجرحى في المشافي المجاورة للعلاج، أما المشتبه فيهم فأرسلوا إلى مشفى المدينة لإجراء الفحص الطبي ثم نُقلوا إلى مركز الأمن لأخذ إفاداتهم.

توتر خطير في قونية

أثناء تجوال محمد إرتونج (20 عاماً)، مع صديقه داود غونير، في حي الفاتح بمنطقة كارابينار التابعة لقونية، صادف مصطفى المحمد (35 عاماً، أب لثمانية أولاد) الذي يتهمه محمد بالاعتداء على شقيقته، وبصحبه حسين المحمد، وهو أب لخمسة

أولاد. وبعد وقت قصير تحول النقاش الذي دار بينهم إلى شجار، فأحضر إرتونج بارودة صيد من منزله وأطلق النار على السوريتين اللذين نقلوا إلى المشفى حيث توفى مصطفى رغم محاولات الأطباء. وتم توقيف إرتونج وصديقه.

وإثر انتشار الخبر تجمّع مئات الأتراك، الذين اتفقوا عبر شبكات التواصل الاجتماعي، وتظاهروا في الشوارع منشدين النشيد الوطني، ثم هاجموا منازل يقطنها سوريون في حي تشييتي، وحاولوا إضرام النار فيها، ولكن الشرطة طوقت المكان وأخلت بعض المنازل إلى بناء مركز صحي، مما منع كارثة كانت على وشك الوقوع.

هذه الصداقة أدمعت عيوننا

وبالمقابل تناقلت صفحات مواقع التواصل الاجتماعي التركية صورة الطفل السوري حسن (14 عاماً) وكلبه، يحضنان بعضهما، وهما نائمان على أحد أرصفة حي بشكطاش باسطنبول. كان حسن في الثانية عندما فقد والدته، أما والده فما زال يعمل في سورية. وبعد أن تخلى عنه عمه، الذي اصطحبه من هناك قبل 3 سنوات، لم يعد له في تركيا إلا كلبه الذي سمّاه زيتون: «عشرت عليه في الشارع. إنه يحبني وأنا أحبه. منذ 7-8 أشهر ونحن نعيش معاً. ننام في مواقف الباصات أو في السوق. عندما أحضنه لا أشعر أنه كلب، بل صديقي الوحيد».

وقد لفتت الصورة انتباه الكثيرين، ومنهم أسماء مشهورة مثل المطرب الشهير هالوك لاونت الذي أطلق نداء على تويتر شرح فيه قصتها وقال في مجموعة تغريدات: «وصل فريق منظمة «أحباب» اليوم إلى الطفل، وقمنا بكل ما نستطيع فعله، ولكن هذا غير كاف. هناك مئات مثله ينامون في الحدائق. على الحكومة اتخاذ تدابير سريعة، على الأقل قبل أن يأتي الشتاء».

نهاية داعش جماعة إرهابية في النزاع الأخير؟

كريستوف رويتر
دير شبيغل - 30 آب
ترجمة مأمون حليبي عن الإنكليزية

في أيلول 2016 اندمجت ثلاث قوى للمتمردين ذات توجه وطني وشكلت جيش إدلب الحر، التابع للجيش السوري الحر. نظرياً، سيقاقل هذا التشكيل الجديد كلاً من الجماعات الجهادية والقوات الموالية للحكومة في محافظة إدلب.

التنظيم فقد السيطرة على أكبر مدنه، إلا أنه ما زال يسيطر على مساحات هامة من الأراضي، وهو يقاتل على 11 جبهة. وفي سورية ما زال يسيطر على وادي الفرات الخصب ذي الكثافة السكانية، وهي منطقة يُعتقد أن كثيراً من قادة التنظيم قد انسحبوا إليها. ليس كل عناصر التنظيم على استعداد للموت. فهو مكون من مجموعات متنوعة: بالإضافة إلى الأتقياء و«الشهداء»، الذين يفضلون القتال على الاستسلام، هناك على الدوام وجود للأنتمنازيين الذين هم أكثر اهتماماً بالمال والسلطة. طالما كان التنظيم مستمراً في الانتصارات كانت هذه العيوب غير مرئية إلى حد كبير. لكن الآن، وسط الضغط المتزايد، أخذ الوضع يتغير. في الخريف الماضي كان واضحاً أن العديد من مقاتلي التنظيم في الموصل كانوا يغادرون، حتى عندما كان آخرون يأتون إلى المدينة.

في أواخر آذار الماضي نشرت وكالة أعماق الذعر بين سكان الرقة عندما أعلنت أن الأميركيين قصفوا سد الطبقة وأنه على وشك الانفجار. طلب من السكان الفرار فوراً، وهذا ما فعلوه. خلال يوم واحد فرغت المدينة. بعد ساعات جاء الأمر بالعودة. كان التنظيم يعلم أن السد لم يكن معرضاً للانفجار. ولكن عملية الإخلاء الجماعي هذه، وفق أحد مقاتلي التنظيم من الرقة، «سمحت للقيادة بمغادرة المدينة دون التعرض لخطر طائرات الدرون». ماذا بعد؟ طالما لدى الجماعة ما يكفي من المستعدين للقتال حتى الموت ستستمر في ترك قرية بعد أخرى عرضة للدمار في معارك دموية. لكن التنظيم أخلى منذ زمن قسماً من قيادته ومقاتلي النخبة واحتياطيته الكبير من الذهب لكي يتابع القتال تحت الأرض. وهناك سيعيد تنظيم نفسه وينتظر فرصته ويظهر بشكل مفاجئ باسم مختلف وربما بشكل مختلف. ماركة «الدولة الإسلامية» استنفدت، لكنها ما تزال نافعة لأغراض دعائية. الظروف في الشرق الأوسط نموذجية لصعود جماعة جديدة من المقاتلين السُنّة.

خلافة الدولة الإسلامية هي الآن تاريخ. المنطقة الخاضعة لسيطرة الجماعة الإرهابية تقلصت بشكل مفاجئ وكبير، وفقد التنظيم بين 80% إلى 90% من قيادته العليا، ولم يعد لديه تسلسل قيادي عسكري مركزي؛ كل وحدة تقاتل وحدها. في غضون ذلك ترتكب هجمات إرهابية في أوروبا باسم التنظيم أكثر من أي وقت مضى. وليس ثمة ارتباط يمكن التحقق منه بين مرتكبي هذه الهجمات وقيادة التنظيم. فالجماعة أطلقت منذ زمن بعيد موجة من الإرهاب ولم يعد وجودها ضرورياً للحفاظ على هذه الموجة. لكن التأثير المطلوب لهذه الهجمات منسجم مع رسالة التنظيم: إثارة الكراهية والضعف ضد المسلمين كطريقة لدق إسفين في المجتمعات الأوروبية، ودفع المسلمين في أوروبا إلى أحضان الجماعة الإرهابية.

هل يواجه التنظيم نهايته؟ يجب الحذر من إصدار حكم كهذا. ففي حزيران 2010 أعلن الجنرالات الأميركيون أنه قضي على الجماعة، لكن الأميركيين كانوا ببساطة قد سعروا تغييراً جليلاً في قيادة التنظيم، ممهدين الطريق لكي يصبح الوحش الذي بدأ يربع العالم عام 2014. قادة التنظيم الجدد كانوا جزءاً من السلسلة القيادية لبعض الوقت، وكانوا أكثر خبرة وكفاءة من معظم أولئك الذين كانوا قد قتلوا. ومع ذلك كانوا يشتركون في نقيصة أعاققت صعودهم حينها: كانوا جميعاً ضباطاً في جيش صدام حسين وأجهزة استخباراته. لكنهم كانوا صنفاً من الناس يعرفون كيف يبنون دولة. قد يشبه التمثيل الأيديولوجي لداعش تنظيم القاعدة، غير أن الجماعتين مختلفتان بشكل كبير. أساس استراتيجية تنظيم الدولة الناجحة، في العراق وسوريا وليبيا، كان اختراق الخصم والهجمات الخاطفة، ولاحقاً، إطباق اليد على الأراضي التي كان يسيطر عليها، وذلك عبر ترويع السكان. كانت الدعاية الإسلامية مجرد وسيلة لشرعنة الهجمات ولجذب متطوعين من شتى أنحاء العالم. ما الذي قد يترتب على الانهيارات الأخيرة؟ بالرغم من أن



سَجِّلْ عقد زواجك للحفاظ على نسب أطفالك



صفحة سجل على فيس بوك

facebook.com/SajjelSYR

Sajjelsyr@gmail.com



للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة أقرب أمانة سجل مدني
أو الاتصال على الرقم 009053876521 10 WhatsApp

عضو الشبكة السورية
للإعلام المطبوع



مجلة عين المدينة نصف شهرية سياسية متنوعة مُستقلة

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

[@AynAlmadina](https://twitter.com/AynAlmadina)

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

[/3aynAlmadina](https://facebook.com/3aynAlmadina)





سَجَّلِي واقعة الوفاة

لتوثيق أسباب الوفاة والحفاظ على حقوق الورثة

للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة أقرب أمانة سجل مدني
أو الاتصال على الرقم 00905387652110

WhatsApp



صفحة سجل على فيس بوك

facebook.com/SajjelSYR

Sajjelsyr@gmail.com



سَجَّلِي واقعة الوفاة

لتوثيق أسباب الوفاة والحفاظ على حقوق الورثة

للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة أقرب أمانة سجل مدني
أو الاتصال على الرقم 00905387652110

WhatsApp



صفحة سجل على فيس بوك

facebook.com/SajjelSYR

Sajjelsyr@gmail.com